الله نور السموات والأرض

الحقيقة المحمدية والعلم الحديث

ا ـ ب ـ كون النور والضياء

الفصل الثالث :

سقنا هذا الفصل بتوفيق الله تعالى لنقدم للعالم صفحة رائعة من حقائق العلم الكبرى مما سبق إليه القرآن الكريم . كتاب الوجود كله . وإن جاء متقدماً عن الترتيب الطبيعى .

وقد أدرنا الحديث فى مقدمته عن كشف عنها العلم المادى الحديث فى مجال المادة فكان بذلك مفتاح عصر من النور والسعادة والسلام ، منذ أعلن أينشتين عن نظريته النسبية الخاصة فى المادة والطاقة ، فإذا المادة طاقة مستقرة ، وشحنات كهربية متعاقدة ،

الآية الكريمة : الله نور السموات والأرض فقلنا : إنها حقيقة الوجود الأولى وقانونه الخالد ، فى المادة والعقل والحياة ، فى الأرض وفى السماء ، فى الأزل وللأبد . . . حقيقة ونور متكاثف ، وإشعاع متجمد أى أننا نعيش فى كون من الطاقة والإشعاع المتجمد — أن صح هذا التعبير أى فى كون من النور والضياء . . فى المادة والفضاء والحياة وقد أعلن ذلك غير

واحد من العلماء ومنهم العالم الفلكى الطبيعى جيمس جينز فى كتابه : الكون الغامض .

ولتفصيل هذه القضية سقنا فصلا بعنوان :

حديث العناصر والنظرية الذرية فى القرآن . . . وفى العلم .

عرضنا فى بداية حديث الخلق فى الكون المادى فى أحدث نظريات العلم وما أروع قصة الخلق حين تستعرض العقول هذه الصورة الجليلة للكون المادى من عنصر وحيد غازى فى سحابة كثيفه لاحد لها تتكور حول نفسها فينفصل منها سحب كبرى تتكور وتدور فينفصل عنها مجموعات تتألق من شدة دورانها وحركتها لتصبح مجرات وسدماً ثم تصبح مجموعات من النجوم مؤتلفة أو متفرقة ، ثم تنفصل بعضها لتلد الكواكب كما حدث لأرضنا وثمانى كواكب أخرى أخذت تدور حول أمها الشمس ثم تلد بعض الكواكب أقماراً وحيدة أو ثنائية أو تسعاً أو إحد عشر قمراً منيراً كالحال فى بعض كواكب المجموعة الشمسية ، ثم تنهيأ هذه الكواكب لاستقبال نوع آخر من التطور الراقى .. إنه الحياة .. ونواصل اليوم حديث الخلق . . . بتوفيق الله : وستعجب كثيراً حين تسمع أن كل هذه الكواكب . مليئة بالحياة . سواء منها ماهو شبيه بأرضنا فى ظروفها أو مختلف عنها ، فالزهرة والمريخ كوكبان متماثلان مع الأرض والمشترى وعطارد وزحل وأورانوس ونبتون وبلوتو . . . فى مجموعتنا الشمسية . . . وملايين الكواكب فى مجرتنا — سكة التبانة — وملايين الكواكب فى المجرات الأخرى كل أولئك ملىء بالحياة . . منها ماهو شبيه بحياتنا ، ومنها ماهو فوق حياتنا أو أقل فى درجة التطور والكمال .

يقرر هذه الحقيقة كثير من العلماء فى العصر الحديث . ونرذلك فى كتاب : قصة السموات والأرض . للأستاذ محمد جمال الدين الفندى ومحمود يوسف حسن .

وبرهان ذلك من عقل الإيمان . . . أنه ما كان ربك يخلق كونا خالياً من الحياة العاقلة الفاهمة الباحثة عن آياته المسبحة بحمده الراقية إليه فى معارج كماله . . .

فما قيمة القصور دون سكان . ؟
وما قيمة الجماد دون حياة ؟ . .

أما لون هذه الحياة فمنها كحياتنا إذا اتفقت ظروف الكوكب قربا وبعداً من الشمس وعناصر فى الغازية والصلبة والسائلة . هواء وماء وأحجاراً وطينا . . .

وقد قرر العلم الحديث أن فى مجرتنا وحدها مايقرب من مليون كوكب فى ظروف أرضنا تقريبا ؛ فليس ثمة ما يمنع من قيام حياة كحياتنا فيها . بل العجيب ألا يكون كذلك .

ومنها مايفوق حياتنا كمالا أو يقل عنها فى درجة الرقى بحسب ظروف الكوكب الخاصة . . وليس مايمنع عقلا ذلك . . ولا يجرؤ عالم أن ينفيه إن لم يكن هناك مايسبته وبرهان ذلك من واقع الحياة : أننا نشاهد الحياة على أرضنا فى مختلف العصور والظروف فى المادة وفى الهواء ، فى أعماق الأرض وعلى قنن الجبال وعلى أغصان الأشجار ، فى الجليد الذى يمكث فى القطبين ستة أشهر أو تزيد ، وعند خط الاستواء الذى تنصهر فيه الثلوج وتغلق فيه طبقات المياه العليا فتتحول سحبا كثيفة من بخارها . . حياة فى كل لون وفى كل الظروف منذ قامت الأرض وتهيأت حيث جعل الخلاق العظيم لكل ظرف حياة ملائمة له متطورة فيه ساعية نحو الكمال . أفنرى هذه الألوان العجيبة من الحياة فى أرضنا فى مختلف البقاع ولمختلف الظروف ومنذ الحقب السحيقة . . . ثم نتعامى عن قدرة الخلاق الذى أبدع فنتفى عنه حكمة الخلق فى كل كوكب وفى كل أرض ؟ . .

حياة من قوانين كل كوكب ، وفى مثل ظروفه ؟ . .

ألا ما أشد غرور ذلك الإنسان الذى راح يكتب باسم العلم كتابا اسماه الإنسان يعيش وحده . . ينفى أن يكون غير الإنسان كائنا عاقلا فى كوكب أو فى سماء ؟ . ألا ما أروع جمال العلم حين يقرر على لسان عالم آخر يرد هذه الحماقات بمنطق من العلم فيقول فى كتاب كريم بعنوان :

الإنسان لا يعيش وحده . . . وراح يكشف عن صفحة من الحكمة

الواعية الهادفة وراء كل شيء في أرض وفي شمس وفي سماء ... ونحن أمام ذلك نشهد الجلال والجمال، ولا نملك إلا التسبيح والتقديس بعظمة الخلاق العظيم.

أما برهان ذلك من كتاب الله تعالى قوله، عز وجل:

«الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن . . يتنزل الأمر بينهن . . .

تكاد السموات يتفطرن من فوقهن، والملائكة يسبحون بحمد ربهم، ويستغفرون لمن في الأرض» «ويخلق مالا تعلمون»

فلا أقسم بما تبصرون، ومالا تبصرون.

وتفصيل الحديث في ذلك يطول بنا كثيراً، وبحسبنا أن نستدل عليه بحديث لابن عباس حبر الأمة، وقد سئل عن آية: ومن الأرض مثلهن ما تفسيرها . .

فقال للسائلين: إنكم لا تطيقونه، ولو فسرت لكفرتم، ولكننا اليوم نطيقه بفضل الله ولذلك نراه يروى حديثا في موضوعنا فيقول: قال رسول الله ﷺ: إن لله أرضاً بيضاء، قيمة الثمن فيها ثلاثون يوماً. مثل أيام الدنيا ثلاثين مرة، مشحونة خلقاً لا يعلمون أن الله تعالى يعصى في الأرض، ولا يعلمون أن الله تعالى خلق آدم وإبليس . .»، ولأمر ما قال الله تعالى: إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب» فالوجود مشحون بآيات الله العظيم يفقهها أولو البصائر والعقول: «وجعلنا السماء سقفا محفوظاً وهم عن آياتها معرضون» أما الحديث الآخر المناسب لمقامنا فهو: إن الله خلق مائة ألف آدم كآدمكم . » وذلك يعطيك صورة لكواكب تبلغ مائة ألف كانت في ظروف حياتنا فقامت عليها حياة متفقة لحياتنا بدأت بآدم بشراً كما نحن، وجرت فيها الهداية حتى وصلت إلى الكمال في صورة رسالة شاملة، وكتاب جامع ونبي كامل دعا الخلق للسمو في معارج الكمال بنور الله العظيم «وإن من شيء إلا يسبح بحمده. «وما خلقت الجن والإنس